

ويعمل البنيان الايدولوجي وينشر مقولاته من خلال قنوات وأدوات ايدولوجية متعددة « الراديو والتلفزيون ، الصحف ، الكتب . . . » . وهكذا فان الفرد يتلقى أفكار الطبقة المسيطرة من خلال أشكال عدة ، سمعية وبصرية وسمعية - بصرية ، ويصبح في النهاية غارشا في بحر ايدولوجيا الطبقة المسيطرة ، أي مطية سهلة لها .

انطلاقا من المعطيات السابقة سنحاول الآن أن نقوم ب**قراءة ايدولوجية** للصحافة العربية عشية وبعد هزيمة الخامس من حزيران ، لنرى ما هي الدلالة ايدولوجية والسياسية لمنطقها ، وما هي المصالح السياسية والطبقية الكامنة وراء كل كلمة قالتها هذه الصحف . أي أننا سنحاول قراءة المنطق الداخلي لهذه الصحف في صنعها وفبركتها « للحقائق » ، وهل قامت بعكس دقيق للواقع بكل محدداته ، أم أنها لوت عنق الحقائق لتكرس وتبرر واقعا هتكته الحقيقة فهورع وراء التضليل ليجعله قانونا .

نقول منذ البدء ان الكلمة البريئة لا وجود لها ، فكل كلمة تفرز مضمونا سياسيا وايدولوجيا محددًا ، وتتبنى بوعي أو بدون وعي مصالح وأهداف فريق ما ، ولقد يبدو أحيانا للبعض أن الصحف (جزء منها على الأقل) أرادت أن تقول الحقيقة الموضوعية فقط ، أي حقيقتة بدون موقف سياسي ، لكن هذا الاعتقاد يتلاشى عندما نحل هذه « الحقيقة الموضوعية » معرفيا ، أي عندما نربط رؤيا العالم ومنطق البحث بنتائجه السياسية . ذلك ان موضوعية أي منطق تتحدد من خلال موقعه بالنسبة لحركة التاريخ ، أي هل يساهم في دفع قضية الحرية والتحرر الى الامام ، أم يحاول من خلال التضليل أن يشدها الى الوراء .

الصحافة العربية والمنطق المثالي

حاولت معظم الصحف أن ترسم لوحة للأحداث بدون أي تحديد تاريخي أو اجتماعي أو سياسي ، بل بواسطة ترسانة لغوية غيبية ، لغة ايدولوجية لا تعرف التحديد ، لغة لا زمانية ولا مكانية تهيم في عالم المطلق والمجرد ، فليس هناك طبقات ، ولا قوى سياسية تعمل بمشيئة الامبريالية ولصالحها ، ولا قوى سياسية مهدت بممارساتها الارضية المولدة للهزيمة ، كان يدور منطق هذه الصحف في متاهة اللاتحديد ، لان التحديد يعني الادانة ، ينبغي اذن ادانة ما يصعب تحديده اجتماعيا وسياسيا ، فالهزيمة تعود الى « العقل العربي الذي عطله الارهاب الفكري وسياسة التخوين والاثام » (٣) ، فالتحليل هنا يهرب وراء كلمتين غائمتين « العقل » و« العربي » ، وبالتالي يبقى قفص الاتهام فارغا ، فاللاتحديد هنا يتواطأ كي يخفي ما يجب تحديده وبالتالي ادانته . لهذا فان الصحف كانت تحلل دائما معركة « الامة العربية » وليس معركة أنظمة محددة بممارساتها ايدولوجية والسياسية والاقتصادية « ان المعركة التي خاضتها الامة العربية ، كانت معركة مباشرة ، معركة وجه لوجه ضد الاستعمار القديم » (٤) . ان هذا المنطق يخطط عمدا ما بين « الأنظمة » و« الامة » ، معنى ذلك ان المعركة لم تكن معركة « طبقة مسيطرة سياسية » بل معركة الامة العربية قاطبة ، وهذا يعني منطقيا ان الهزيمة ليست هزيمة لانظمة محددة بل للعرب أجمعين ، هنا الجزء المسيطر يحاول أن يخفي سقوطه باسقاطه على الكل من خلال تماثل مغتصب ، أي يجعل نفسه ممثلا شرعيا للكل واضعا مكان علاقة التضاد بين الكل والجزء علاقة المصالحة والمطابقة بينهما ، ومعطيا نفسه بنفسه صفة الشرعية : شرعية الوجود وشرعية الهزيمة . فالجزء ممثل للكل والكل هذا « كان في مستوى المعركة ولا يزال » (٥) ، اذن فالنظام المهزوم كان ولا يزال أيضا في مستوى المعركة ، فهو هنا يغتصب الشرعية ليعود فيبرر الهزيمة . تبدو الهزيمة اذن للكل وليس للجزء وان كان هناك ما يحتاج الى تغيير